توظيف الشخصيات الأسطورية ودلالاتها في أشعار نجاح إبراهيم

Recalling on legendary characters and their implications in najāh ibrāhīm's poetry

عذراء دريس [1]، د. علي خضري [2] *

[1] جامعة خليج فارس (إيران)، ath.deris@gmail.com

[2] جامعة خليج فارس (إيران)، alikhezri@pgu.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2020/04/09 تاريخ القبول: 2020/05/20 تاريخ النشر: 2020/06/02

ملخص:

يُعدُّ توظيف التراث من أبرز السّمات والأساليب الفنية في الأدب وله مكانة مرموقة عند شعراء العرب المعاصرين، وقد أقبل الكثير من الأدباء والشعراء على التراث ولا سيّما توظيف الشخصيات التراثية، واهتدى لها ولأشكالها المختلفة، فمنهم الشاعرة السورية نجاح إبراهيم التي خطت بخُطاها في هذا الطريق واستلهمت التراث في أشعارها بشتّى أنواعه. وتؤدّي الشخصيات أثراً بليغاً في قصائد الشاعرة وتُلقي بالكثير من الدّلالات والتعابير في ذهن المتلقّي.

نهدف في هذا البحث الّذي اعتمدت خطته على المنهج الوصفي-التحليلي إلى دراسة الشخصيات الأسطورية الّتي استدعتها نجاح إبراهيم في دواوينها الشعرية ودلالاتها التي عبَّرت من خلالها عن خلجات نفسها، منها: شخصيات أوتنوباشتيم، واللاماسو، وبينلوب، وتاييس، وفينيق، وسيزيف، وأبو الهول. وقد توصّلنا بعد تطرُّقنا لهذه الشخصيات إلى أنَّ غالباً ما استعارت الشاعرة الشخصيات الأسطورية لتعبّر بها عن الأنثى وجمالها؛ كما وظّفت شخصية تاييس رمزاً للمرأة الجميلة والقادرة على إغواء الرّجل، واستدعت شخصية أبي الهول دلالةً على جمود الرّجل إزاء جمال المرأة. ونلاحظ استحضارها لشخصية سيزيف وصخرته في القصائد تجسيداً لمعاناتها.

كلمات مفتاحية: *الشعر العربي المعاصر، التراث، توظيف، الشخصية الأسطورية، نجاح إبراهيم.*

Abstract:

The employment of heritage is one of the most prominent features and artistic methods in literature and has a prominent position among contemporary Arab poets. Many writers and poets have come to heritage, especially the employment of heritage figures, and guided them and their various forms. In her poems of all kinds. The personalities exert a great influence on the poems of the poet and cast many indications and expressions in the mind of the recipient.

* المؤلف المرسل

In this research whose plan relied on the descriptive-analytical method, we aim to study the mythical characters that najāh ibrāhīm invoked in her poetry collections and their connotations through which she expresses the same conclusions, including: Utnapishtim characters, llamas, Penelope, Taise, Phinec, Sisyphus, and Sphinx. After touching on these characters, we concluded that the poet often borrowed legendary characters to express the female and her beauty; the Taise character also employed a symbol of the beautiful woman who is able to seduce the man, and the Sphinx's character called for an indication of the man's immobility towards the beauty of the woman. We note her invocation of the personality of Sisyphus and his rock in the poems as an embodiment of her suffering.

1. مقدمة:

شاعت ظاهرة توظيف التراث في الأدب المعاصر، فتسرّبت إلى الشعر بكافّة روافدها، إذ نلمح انعكاسها في أعمال أغلب شعراء هذا العصر، حيث استمدّوا من التراث ما يسعفهم في نقل رؤاهم وعواطفهم. ولم يكتمل هذا التراث إلّا بشخصياته المرموقة إذ يُعدُّ توظيف الشخصيات من مقوّمات التراث وأحد فروعه، فهو عبارة عن إحيائها في عصرنا الحالي. يستخدم الشاعر الشخصيات في شعره إثراءً لمضمونه الشعري وتعبيراً عن خلجات نفسه وما لا يستطيع البوح به بصورة مباشرة، ويشير هذا إلى تجربة الشاعر الواسعة بمختلف الحضارات وبكلِّ ما سبق من أحداث وقضايا على مَرِّ الزمن. وتناسق الشخصيات مع النص الشعري المتواجدة فيه يجعل النص أشد وقعاً على نفس المتلقِّي، فيتقصّى المتلقّي الشخصيات التراثية ليصلَ إلى صلب إيحاءاتها ورموزها المكنونة في باطنها، فحضور الشخصيات في الشعر لم يكن اعتباطاً؛ بل جمالية فنية تتمظهر من خلالها مشاعر الشاعر وكذلك رؤيته في أغلب الأمور.

ومن الشعراء الَّذين احتلَّ التراث والشخصيات التراثية حيّزاً واسعاً في نصوصهم الشعرية هي الشاعرة نجاح إبراهيم؛ إذ برعت في توظيفها للشخصيات التراثية وتحديداً الموروث الأسطوري، بحيث نلاحظ استحضارها للشخصيات الأسطورية في أغلب قصائدها وتفاعلها معها وكذلك ربطها بقضايا العصر الحديث؛ للإفصاح عن مشاعرها ومايدور في خَلَدها، ولإنتاج دلالات حديثة، فهي على درايةٍ بتعابيرها النافذة لهذا استرفدتها بشتّى ملامحها التراثية.

ولِما كان لتوظيف الموروث الأسطوري مساهمة فاعلة في الشعر وفي جماليته الفنّية، فأخذنا على عاتقنا رصد الشخصيات الأسطورية والكشف عن دلالاتها الكامنة في شعر نجاح إبراهيم معتمدين على المنهج الوصفي-التحليلي. وأمّا الشخصيات الأسطورية الّتي تركت بصمتها على نتاجات الشاعرة وتطرّقنا إليها في هذه الدراسة فهي: شخصيات أوتنوباشتيم، واللاماسو، وبينلوب، وتاييس، وفينيق، وسيزيف، وأبو الهول.

1،1 أسئلة البحث:

نحاول في هذه الدِّراسة الإجابة عن أسئلة وهي:

1. ما الدّوافع الّتي حثّت نجاح إبراهيم على الوقوف في محطة توظيف الشخصيات التراثية؟
2. ما الرموز الّتي تحملها الشخصياتُ الأسطورية المستدعاةُ في طيّاتها؟

2،1 خلفية البحث:

عكف الكثير من الكتّاب والباحثين على دراسة التراث والشخصيات الأسطورية المستدعاة في النصوص الأدبية ونُشرت الكثير من الكتب والدِّراسات لهم في هذا المجال، منها كتاب "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" للمؤلّف علي عشري زايد (1999م)؛ يحتوي هذا الكتاب على أربعة أجزاء يتطرّق المؤلف فيها إلى: علاقة الشاعر المعاصر بالموروث بين التسجيل والتوظيف ومصادر الشخصيات التراثية وتكنيكات توظيفها في الشعر المعاصر والمزالق التي تهدد ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية. وهناك رسالة ماجستير موسومة بـ "توظيف الأسطورة في الشعر العربي المعاصر" للباحث سنوسي لخضر (2010م)؛ تناول في الفصل الأوّل منها الظواهر الفنية في الشعر العربي المعاصر، وفي الفصل الثاني تطرّق إلى تعريف الأسطورة وإلى الفرق ما بين الأسطورة والرّمز وكذلك إلى الأسطورة بين التقليد والإبداع وأشار إلى علاقة الأسطورة والأدب، وفي الفصل الثالث قام بدراسة تطبيقية لهذه الظاهرة في أشعار أغلب الشعراء المعاصرين. وثمّة دراسة تحت عنوان "جماليات التكوين في الثور المجنح الآشوري (دراسة تحليلية)" للباحثَين نجم عبدالله عسكر، وجولان حسين علوان (2017م) منشورة في مجلّة الأكاديمي، العدد 85؛ عمل الباحثان فيها على التعرّف بالجماليات التكوينية في الثور المجنَّح الآشوري من حيث العلاقات التكوينية الأساسية ودلالاتها من حيث النسب والحركة والجو العام والمسحة العامة.

ومن خلال البحث حول نتاجات الشاعرة عثرنا على بعض المقالات المنشورة في المواقع الإلكترونية وفي دواوينها الشعرية الّتي جاءت كمقدَّماتٍ لتلك الدواوين كمقالة «الحكايات الحسيّة والرُّوحيّة في عالم نجاح إبراهيم ديوان "أغنية للبلشون الحزين"» بقلم نعيم عبد مهلهل (2016م)؛ وتوصَّل فيها إلى أنَّ الشاعرة تستطيع أن تتواصل مع اللغة من خلال موهبتها وحلمها الكبير وأنَّها شاعرة تحترفُ الصياغات الكبيرة في بناء القصائد لتوصلَ قارئها إلى التوهّج الكبير في المسافاتِ الأبعد من البيت والوطن والقارة. ومقال آخر تحت عنوان «الشعر لعبةُ الجمال» لسلمان كاصد (2018م)؛ وقد عالج الناقد فيها: الأنساق الموجودة في ديوان الشاعرة نجاح إبراهيم الموسوم بـ «عاصفة الجمال» وأهمُّ تلك الأنساق هي: العنوان بوصفه دالًّا، والتكرار بوصفه نسقاً، والتمركز حول ذات الآخر، والتقابل الدلالي بين العناصر الشعرية. وبلغ من خلال مقاله بعض النتائج وهي أنَّ الشاعرة لم تقدّم نصاً يشابه آخر وكتبت الشعر من أجل تجديده. بعد الاطِّلاع على الأبحاث، نستطيع القول بأنَّه لم يتناول الباحثون هذه الظاهرة في نصوص نجاح إبراهيم الشعرية وأنَّ هذه أوَّل دراسة عكفت على ظاهرة استدعاء الشخصيات الأسطورية في شعرها.

2. نبذة عن حياة الشاعرة

وُلدت نجاح إبراهيم الشاعرة والكاتبة والناقدة في عفرين بسوريا عام 1965م، وعاشت كل سنواتها في محافظة الرّقَّة في مدينة الطبقة التي فيها سدُّ الفرات العظيم ثم نزحت عنها بسبب الحرب. بدأت الكتابة منذ عام 1978م، ونُشرت أولى قصصها في مجلة "الضاد" عام 1989م، ثمّ نُشرت لها قصص كثيرة في المجلات والصحف وصُدر لها مؤلَّفات عدَّة، منها كتابها الأوّل تحت عنوان "المجد في الكيس الأسود" عام 1992م؛ وهو عبارة عن مجموعة قصصية. وقد فازت الأديبة بجوائز عديدة على مستوى سوريا، والوطن العربي، والعالم في القصة والرّواية والشعر، منها: جائزة تشوقوأورا العالمية عام 2016م عن مجمل إبداعها الأدبي، وجائزة ناجي نعمان الدولية عام 2019م وجائزة العجيلي للقصة القصيرة، وجائزة دمشق للثقافة والتراث وغيرها من الجوائز، وشاركت في العديد من المهرجانات الأدبية في سوريا والعراق ولبنان وايران، وتُرجمت بعض أعمالها إلى الفرنسية، والتركية، والأرمنية والفارسية و... وهي عضو اتحاد الكتّاب العرب في سوريا منذ عام 1998[(1)].

3. الشخصيات الأسطورية

إحدى المحطَّات الّتي وقف عندها الأدباء والشعراء ووظّفوها نتاجهم بشتّى أنواعها؛ هي محطَّة الأسطورة، بحيث رسموا بها صورةً صادقةً لمعاناتهم وآمالهم في الحياة. تُعَدُّ الأسطورة من أهمَّ مصادر التراث، واحتلّت حيّزاً واسعاً في العلوم الإنسانية وتحديداً في الأدب، بحيث «كان الشعراء الرومانتيكيون في القرن التاسع عشر الميلادي أول من شرب من كأس الأسطورة السحري بنشوة، ومنذ ذلك العهد رأوا كل الأشياء في مظهر مختلف ولم يتمكنوا من العودة إلى العالم العادي، مثلما لم يروا أي اختلاف حاد بين الأسطورة والواقع، أو أدنى انفصال بين الشعر والحقيقة»[2]، فوَلِجَت هذه الظاهرة ورموزها وحكاياتها الشعر وأخذت «تستأثر باهتمام كثير من الشعراء خصوصاً في فترة الخمسينيات؛ بل، إنَّ النزعة الأسطورية طغت على الشعراء في القرن العشرين»[3].

لجأ الشعراء إلى أغلب أنواع الأساطير كـ: الأساطير الإغريقية والفينيقية والآشورية والبابلية والفرعونية ومن هؤلاء بعض جماعة أبولّو وجماعة الديوان، وبدر شاكر السيّاب، وخليل حاوي، وأدونيس ويوسف الخال[4].

3،1 الأسطورة لغةً:

وردت هذه المفردة الكثيرَ من المعاجم، فمنها معجم "كتاب العين" «ويُقال: سَطَّرَ فلانٌ علينا تسطيراً إذا جاء بأحاديثَ تُشبِه الباطِلَ. والواحد من الأساطير إسطارة وأُسطورة، وهي أحاديثُ لا نظام لها بشيء. ويَسْطر معناه يُؤَلِّف، ولا أصل له، وسَطرَ يَسْطُرُ إذا كَتبَ. وقال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ن والقَلَمِ وما يسطُرون﴾، أي وما يكتبُ الملائكة»[5]. تطرَّق ابن منظور إلى تعريف هذه الكلمة في معجمه "لسان العرب" حيث يقول: «وقال ابن بُزُرج: يقولون للرجل إذا أخطأَ فَكَنَوْا عن خَطَئِهِ: أسْطَرَ فلانٌ اليومَ، وهو الإسْطارُ بمعنى الإخْطاءِ. .... والأساطِيرُ: الأَباطِيلُ. والأساطِيرُ: أحاديثُ لا نظام لها، واحدتُها إسْطارٌ وإسطارَةٌ، بالكسر، وأُسْطِيرٌ وأُسْطِيرَةٌ وأُسْطُورٌ وأُسْطُورَةٌ، بالضم»[6].

3،2 الأسطورة اصطلاحاً:

الأسطورة هي أحد روافد التراث، والّتي دخلت الأدب بمصادرها المختلفة، فاستغلّها الشعراء برموزها المتنوعة ذات المغزى المرتبط بما يحملونه في بواطنهم من مشاعر، «والأسطورة هي الجزء الناطق من الشعائر البدائية الذي نماه الخيال الإنساني ثم استعملته الآداب العالمية ويرى الناقد خلدون شمعة أن الأسطورة قصة متداولة أو خرافية تتعلق بكائن خارق أو حادثة غير عادية، وتقدّم تفسيراً للظاهرة الدينية أو لما فوق الطبيعة كالآلهة والأبطال

وهي قصة مخترعة أو ملفقة، بتصرف»[7]. وردت عدة تعاريف لهذا المصطلح في الكتب والدّراسات واختلف الكثير من الباحثين في تحديد معناه ومفهومه، فثَمَّة من يرى أنَّ الأسطورة حكاية خرافية تناقلها النّاس جيلاً بعد جيلٍ وهناك من يرى بأنَّها تحكي قصصاً وأحداثاً واقعية حدثت في الماضي البعيد «ولكن واقعيتها ليست هي تلك الواقعية المحسوسة التي يمكن أن ندركها أو نثبت وجودها وإنما هي واقعية ما فوق الطبيعة»[8].

3،3 الشخصيات الأسطورية في الشعر:

الشخصية الأسطورية هي الشخصية الّتي حفرها الإنسان البدائي في ذاكرة الشعوب، فدخلت الكثير من الثّقافات وامتدّت على مدى عصور التاريخ كشخصيات الآلهة والأبطال والكائنات الحيَّة، وما يميّزها ويزيدها قيمةً هو أنَّه لم يبتكرْها شخصٌ معيَّنٌ أو فئةٌ خاصّةٌ، بل هي من صُنع الأجيال المتعاقبة. إنَّ الأسطورة لم تكن أقلَّ تعبيراً من الشخصيات الأخرى بل هي البؤرة الّتي ارتكز عليها الشعر «وإذا كانت الأسطورة مصدراً للإلهام الفني فإنَّ الشعر هو وليد الأسطورة وهذين الآخرين يلتقيان في أنَّ كليهما يمنح الزمان صفة الديمومة، حيث بوسعنا أن نرى في الأسطوري والشعري الحاضر المستمر والمستقبل الدائم»[9]. يعكف الشاعر على توظيف الشخصية الأسطورية المستوحاة من القصص والحكايات ليجسِّد لنا الواقع بكلِّ حالاته وليُثري عمله الفنّي بامتحائه لرموزها. وأمّا الشخصيات الأسطورية الّتي استلهمتها نجاح إبراهيم فهي الشخصيات التالية:

3،3،1 أوتنوباشتيم[10]:

إحدى الشخصيات الأسطورية الّتي تُلاحَظ ما بين الأساطير السومرية والبابلية هي شخصية أوتنوباشتيم وهو «الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود .... والذي يعتبره البعض مشابهاً جداً إن لم يكن مطابقاً لشخصية نوح في سفر التكوين»[11]. وقد عُرِفَ أوتنوباشتيم بـ «نوح في الأساطير» وذلك بسبب قصة الطوفان وصُنعه للفلك؛ القصة الّتي تشبه في تفاصيلها قصة النبيّ نوح عليه السّلام ومواجهته الطوفان. بعدما أنجز أوتنوباشتيم ما أُمر به من صُنع الفلك ونجاته وقومه من الطوفان؛ حصل على درجة الألوهية من قِبَلِ الآلهة، وقد وردت هذه الشخصية في ملحمة "جلجامش" أيضاً مشيرةً إلى الخلود الّذي كان يبحث عنه "جلجامش". نجد استدعاء الشاعرة لهذه الشخصية في قصيدة "هِبَة لكَ"، حيث تقول:

أملكُ الكثيرَ، الكثيرَ

وبعضُ ما أملك

كفّين يَمامتين دِمشقيّتين
تُصَليانِ في «الأموي»
كي يَهدأَ زمنُ روعِك
شرياناً يَغدو فضاءً
لصَهيلِ خيلِك
وبعضُ ما أملك
صبراً يفوقُ احتمالَ
«أوتنوباشتيم»
لفورانِ تنّورِك
ضوءً أُعْليهِ مِئذنةً
لآذانِ قلبِك
وحنجرةً لألحانٍ
تتفَجرُ أقحواناً في داخلِك
فغنِّ أنّى شئتَ
ما كنتُ كَوناً إنْ لمْ أقبضْ
على ترجيعِ صوتِك!.[12]

تخاطب الشاعرة المواطن السوري الّذي طغى الحزن والظلم عليه وتقول بأنَّها تدعو له بأنْ يفارقه الذُّعر وأنْ يحتلَّ مكانه الهدوء والسَّكينة، وتهبه من صبرها الّذي فاق صبر أوتنوباشتيم على المصائب، وتستلهم شخصيته كي ترمز بها إلى الصبر، فهو الإنسان الّذي عانى الكثير من المصاعب بسبب البشر الطاغين فنزل عليهم البلاء من قِبَلِ الآلهة ولكنَّه نَجَى من العذاب باتّخاذه لأوامرها، ومِن ثَمَّ وصل إلى درجة الخلود لتحمّله المشقّات، فالشاعرة تحثُّ المواطن على الصبر والتجلُّد في مواجهة المِحَنِ واجتيازها؛ كي يصلَ إلى ما هو أسمى منها. وفي الأبيات الأخيرة تهبه حنجرةً لكي يُغَنِّي بها ألحان الحرية ويبوح بكلِّ ما هو مكنون في باطنه.

3،3،2 اللاماسو:

استعارت نجاح إبراهيم شخصياتها الأسطورية من حضاراتٍ عدَّةٍ، فإحدى هذه الحضارات هي الحضارة الآشورية والّتي استمدّت منها شخصية اللاماسو أو المسَمَّى بالثور المجنّح وهو القطعة النحتية المركّبة من جسم انسان وحيوان والّتي تُشاهد في مداخل المباني الآشورية. «وقد عُرفت هذه الأشكال بإسم الثيران المجنحة ذات رؤوس بشرية، وهي عبارة عن حيوانات حجرية وُضعت في صفة ازواج عند مداخل المعابد والقصور وبوابات المدن الآشورية

كحراس للباب، وقد كان لهذه المخلوقات الحارسة المركبة حسب اعتقاد العراقيين القدماء قابلية لطرد الأرواح الشريرة الّتي قد تدخل المبنى عن طريق المداخل»[13]. ونلاحظ هذه الشخصية في قصيدة "في كفّك مَاءُ"، فتقول الشاعرة:

على حصى سجادِك اللاهبِ

يُزهر دَمي

وصوتُ مآذنك يلامسُ قبابَ روحٍ

تُصلي في مَدى البَهاء الرّاعب

كاللاماسو أكونُ في الحَضْرةِ

مَشْدوهةً أحرسُك

أنتِ المحروسَةُ من الآلهة قبلُ وبَعدُ

كلُّ الجهاتِ تضيعُ في المدنِ العمياء

إلّا جهتك -يا أم الدنيا- شَمساً

ترتلُ معجزةَ الضّياء[14]

تخاطب الشاعرة مصر وتصفُ لنا زيارتها لهذه البلاد؛ الّتي وصفتها بشَمسِ البلدان العربية والمشعَّة بالنّور، وتُشبّه نفسها باللاماسو وتقول بأنّها تحرسها كهذا الحارس المجنَّح ومِن ثَمَّ تأتي بلقب «المحروسة» وهو «وصف للقاهرة عاصمة مصر»[15] وتشير إلى أنَّها دائماً كانت محميَّة من شر الأشرار والآلهة. ترمز شخصية اللاماسو إلى الحماية والبسالة وهي «تعبير عن قوة تاريخية من تجميع عناصر موجبات الكمال -الثور للقوة- النسر للمجد والأسد للشجاعة والإنسان للحكمة»[16].

3،3،3 بينلوب:

بينلوب أو بنلوب أو بينلوبي؛ هي إحدى الأساطير اليونانية وإحدى شخصيات قصة أوديسة هوميروس والّتي أُشتُهرت بوفائها لزوجها أوديسيوس، وتروي لنا القصة حكاية بينلوب بأنَّها كانت ملكة إيثاكا وزوجة البطل أوديسيوس، فذهب الزوج يوماً للحرب وفارق أسرته وابتعد عن بلاده، فلمّا رأى ملوكُ يونان الظالمون تأخره عن العودة إلى البلاد وأنَّه طالت فترة غيابه ظنّوا أنَّه قد مات أو غرق، فطمعوا في الزّواج من الملكة بينلوب وأخذوا يخطبونها، فاحتالت عليهم بحيلةٍ وهي أنَّها لو انتهت من نسج ثوبٍ تظاهرت بالعمل فيه على منسجها وهو عبارة عن كفنٍ لزوجها، فسوف تنظر في خطبتهم لتختار من بينهم زوجاً لها بدلاً من أوديسيوس، ولعلَّه يكون حيَّاً ويعود إليها في هذه الفترة ويحارب من طمع في القصر وفيها[17].

استعانت الشاعرة بهذه الشخصية في قصيدة "وشمٌ" واتّخذتها رمزاً للانتظار والوفاء والإخلاص، إذ تقول:

أنتظرُ
مثل "بينلوب"
لعوليسها
علّ الضباب الكثيف يغادرُ
مصابيحَ الطريقْ
فينفلتُ عقدُ الوجعِ من جاذبيةِ الجيدْ
الصورةُ تنعتقُ
من إطارِها
يغني ألفُ جرحٍ بارحَ نزيفَه
وترقصُ الشهواتُ
في اعتناق رحابها
هاجرةً قاحلَ الصّمتِ
لا أقسى منه أمامَ ضجيجِ الرّوح!
تحكي تفاصيلَ عشقٍ مخبوء
أنحتُ..
حرماني وشماً
على بياضكَ المهيب
آه لو تجيئ!
تحرّرُ الشوقَ المصلوبَ على قضبانِ النافذة
تنزعُ صدأ نظراتي
تمسحُ ما علقَ على المرآة
من صوتٍ حزينْ
فيستفيقُ الضوءُ
ويزهرُ العدمُ حلماً
يروحُ ويأتي
فوق المدينة الأسيرة
تصحو من مواتِها..

هَبْني مطرَك
ما عدتُ أحتملُ الهجيرْ
لأسبّحَ باسمِ الخلاصِ نارَ القصيدة
أرشّ القبورَ بماءِ حياة
أسحقَ رهاناتِ الجُناة
على موتيَ[18]

يتراءى لنا في هذا النص انتظار الشاعرة للمعشوق الّذي طالما انتظرته خلف قضبان النافذة، كما انتظرت بينلوب زوجها على مدى سنين، فهي تنتظر من ينير ظلمتها ويزيح عنها آلامها بمجيئه؛ الآلام الّتي اِحتشدت بها نفسُها وكذلك البلاد الّتي أغلَّها الأعداء، فالشاعرة في انتظار من يخلّصها من كلّ هذا الوجع وتقول «هَبْني مطرَك» فاستثمرت المطر رمزاً للحياة وللخلاص ممَّن فرض على البلاد الموتَ.

3،3،4 تاييس:

إحدى الشخصيات الأسطورية الّتي كان لها انعكاسٌ في شعر نجاح إبراهيم هي شخصية تاييس المعروفة بـ ««تاييس النصرانية» أو «تاييس المصرية» وكانت امرأة بارعة الجمال عاشت في الإسكندرية، خلال القرن الرابع للميلاد، عيش البغايا، ثم تابت على يد أحد الرهبان ورُفعت إلى مرتبة القداسة. وعلى أساس من قصّتها بنى الكاتب الفرنسي أناتول فرانس France روايته السّاخرة Thaïs (عام 1890)»[19]. فالشاعرة استلهمت رمز الحب الأسطوري ما بين تاييس والرّاهب في قصيدة "ثوْرَةُ الكَرز":

أتدري كيف تحتفي
أشجار الكرز بزهرها؟
شد أسرجة انبهارك
صوب خديها
ودع أقمار ذهولك
تتوضأ ببياضها
واتبعها
كما اتبع الراهب تايس
ومشى في درب غوايتها
جنون مهيب

جرفهن حو ثورتها[20]

تجسد الشاعرة في هذه المقطوعة صورة المرأة الفائقة الجمال والتي لها القدرة على إغواء الرجل بسلاح جمالها واستلهمت شخصية تايي سيي رمزاً لهذه المرأة، فتحدث الشاعرة الرجل على اتباعها وتشير إلى أن حب المرأة هو ثورة بحد ذاته، كما ثار الراهب على مبادئه إثر وقوعه بفخ الأنثى وعشقها. ويمكننا القول بأن الشاعرة تستحسن هذا الشيء لأن هذه الميزة سلبية كانت أم إيجابية توجد في ذات كل امرأة دون استثناء.

3،3،5 فينيق:

طائر الفينيق هو الأسطورة الّتي استمدّ منها أغلب الشعراء المعاصرين تعابيرهم، وأُطلق عليه عدة أسماء حسب الحضارات الّتي تواجد فيها، ففي التراث الغربي يُسمَّى بالفينيق وفي تراث الفرس يضارع طائر السِّيمُرْغ وفي التراث العربي يُسمَّى بـ "عنقاء مُغْرِب" وهو الطائر الّذي يرمز إلى الانبعاث من جديد[21]؛ وذلك لإحراق نفسه بالنَّار، وولادة طائرٍ آخر من رماده. استحضرت الشاعرة هذه الأسطورة في قصيدة "سيدةُ الضّوء"، فتقول:

كم شبّه لهم موتُها؟!

وعلى مشانقِ الرّيح

علقوها؟!

يا لخزيهم!

ليجمعوا الحَطبَ، وحزمَ النّاردين

لينظروا كيفَ يتوالدُ الفينيق

وباحتراقاته يُحتفى[22]

تربط الشاعرة في هذا النص بين توالد فينيق بالرّماد وتوالد الوطن بدماء الشهداء وأبنائه، وترمز بالطائر إلى وطنها وتُكشف عن صراعه مع الأعداء ومحاولاتهم لزواله، فنلمح باسترفاد الشاعرة للفينيق؛ وثوقها ببقاء الوطن وصموده قبال أفعال الأعداء وتدميرهم له.

3،3،6 سيزيف:

تُعدُّ أسطورة سيزيف إحدى المصادر الّتي استلهم منها الشعراء ولا سيَّما نجاح إبراهيم مضامين نصوصهم الشعرية وعبَّروا من خلالها عن أغلب قضايا مجتمعاتهم. اشتُهرت هذه الشخصية بعذابها؛ لأنَّه «حكمت الآلهة على سيزيف بأن يرفع صخرة بلا انقطاع إلى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية. لقد ظنوا لسبب معقول أنه ليس هنالك عقاب أبشع

من العمل التافه الّذي لا أمل فيه»[23]. نلمح شخصية سيزيف في قصيدة "أقمارٌ من الفيروز" على شاكلة المقتطف الشعري التالي:

"سيزيف" كنتُ
فوق كتفيّ أحملُ البلادَ
وصوبَ الأعالي أمضي
وكنتُ
مُكتظّةً بنواقيس الوصول
ألِدُ أثقالي
عندَ أقرب نقطةٍ إلى الله
أطلقُ أقماري[24]

ترسم الشاعرة في هذه المقطوعة صورةً صادقةً لمعاناتها باستعارتها لشخصية سيزيف فتتَّخذ دوره، وترمز به إلى نفسها بصفتها المواطن وبصخرته إلى آلام البلاد الّتي تحملها على كتفيها وتتجه بها نحو الأعالي. ونلمح من خلال السياق بعض الاختلاف ما بين صخرة سيزيف وصخرة الشاعرة وذلك في انحدارهما، فصخرة سيزيف كانت تسقط من الأعلى إلى الأسفل ولكن صخرة آلام الشاعرة كانت تعتلي القمم لتصل إلى الخالق سبحانه وتعالى دون أن تنحدر إلى الأسفل، فالشاعرة كانت تشكو آلامها إلى ربّها ولم يكن عملها هذا عبثاً كعمل سيزيف.

3،3،7 أبو الهول:

وظّفت نجاح إبراهيم من الأساطير المصرية أسطورة أبي الهول؛ وهو «تمثال فرعوني بالجيزة يمثل أسدًا رابضًا وله رأس إنسان يغطيها غطاء رأس فرعوني. ويعتبر أبو الهول حارس مقابر الموتى والعتبات المحرّمة والمومياءات الملكية، إنّه يقبع هناك متأملاً الأفق وإشراق الشمس باطمئنان واضح ويراقب جريان النيل ونشيد الكواكب ويرمز إلى القوّة التي لا تقهر والتي لا ترحم المتمردين ولكنها تحمي الصالحين، كما يرمز إلى الخلود»[25]. استدعت الشاعرة أسطورة أبي الهول في قصيدة "آيةُ الشّعرِ" على شاكلة الأبيات التالية:

مُزدحِمَةٌ بكَ
والشّعرُ ازدحامْ
فيضٌ من الفَيروز بينَ يديها
إنْ أردتَ آيةً
انظرْ إلى وجنتيها

أقماراً ينفجرُ الكلامْ
كفّاها نَهاران مخضّبان
بصدى الأذانِ
ادنُ منهما
واقطفْ بمِلءِ فخرِكَ
جدولَ أحلامْ
لا تدنُ؛
فخصلة شَعرِها
كأبي الهول تُسمّرُك
حينَ ينشقُّ فجرٌ من عتمتها
وينهمرُ هُيام.(26)

تصف الشاعرة جمال الأنثى وتشير إلى أنَّ وجنتيها عبارة عن آية الجمال، وتطلب من الرّجل أنْ يدنو من كفَّيها ويقطف منهما أحلامه، ومِن ثَمَّ تُنهيه عن الدّنو من خصلة شَعرها؛ لقدرتها على تسمّره وتشبّهه حين يرى خصلة شعرها بأبي الهول الّذي تسمّر في مكانه، فاستدعت الشاعرة شخصية أبي الهول دلالةً على جمود الرّجل إزاء جمال المرأة.

4. خاتمة:

استعارت الشاعرة ظاهرة توظيف الشخصيات التراثية لأنَّها خير معبّرٍ للمضامين الّتي تحتويها قصائدها وللمشاعر الّتي تسكنها، فتنتقد بها الأوضاع السائدة في البلاد وترسم بها مأساتها ورؤاها في الحياة، وذلك لأنَّ في ثنايا التراث ومعطياته إيحاءات دلالية ذات أثرٍ بليغٍ في توصيل هذه القضايا للمتلقّي، فتجد من بينها ما يضاهيها في تجربتها وما يضاهي المجتمع. وكذلك استحضارها للنص الغائب في النص الحاضر هو اتّباعٌ للأساليب والتقنيات الّتي تتحلّى بها نصوص الأدب المعاصر.

اتضح لنا أثناء دراستنا لهذه الظاهرة بأنَّ هناك دلالات عدّة للشخصيات الأسطورية المستدعاة في أشعار الشاعرة، فهي توظِّف شخصية أوتنوباشتيم لترمز بها إلى الصبر ولتَحثُّ المواطن على الصبر والتجلُّد في مواجهة المِحَنِ واجتيازها؛ كي يصلَ إلى ما هو أسمى منها، واستدعت شخصية اللاماسو دلالةً على الحماية والبسالة والشجاعة. وتوصّلنا إلى أنَّ غالباً ما تستدعي الشاعرة الموروث الأسطوري لتعبّر به عن الأنثى وجمالها؛ كما وظّفت شخصية تاييس رمزاً للمرأة الجميلة والقادرة على إغواء الرّجل، واستدعت شخصية أبي الهول دلالةً على جمود الرّجل إزاء جمال المرأة. ونلاحظ استحضارها لشخصية بينلوب رمزاً للإنتظار والوفاء

والإخلاص، واسترفدت شخصية فينيق رمزاً للإنبعاث ولتربط بين توالده بالرّماد وتوالد الوطن بدماء الشهداء وأبنائه. ترسم الشاعرة باستلهامها لشخصية سيزيف صورةً صادقةً لمعاناتها، فتتّخذ دوره وترمز به إلى نفسها بصفتها المواطن الّذي يحمل آلام البلاد على كتفيه.

5. الإحالة والتهميش:

(1). نجاح إبراهيم، سُلْطانةُ السَّبي، الطبعة 1، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 71-73.

(2). أحمد جبر شعث، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، الطبعة 1، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، خان يونس، 2002م، ص 36.

(3). المرجع نفسه، ص 41.

(4). حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجا، الطبعة 1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عَمان، 2009م، ص 89.

(5). خليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق عبدالحميد هنداوي، الجزء 2، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 243.

(6). جمال الدين أبي الفضل بن منظور، لسان العرب، الجزء 4، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414ه، ص 363.

(7). حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجا، الطبعة 1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عَمان، 2009م، ص 87.

(8). علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص 176.

(9). ليندة زيد المال، استدعاء الأسطورة في الشعر العربي المعاصر خليل حاوي -أنموذجاً-، *رسالة ماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي مسار أدب عربي حديث*، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2011م، ص 9.

(10). Utnapishtim

(11). عياد ظريف، آدم وأحداث سفر التكوين بين التاريخية والرمزية، د ط، دار الاخوة للنشر، د ب، 2018م، ص 76.

(12). نجاح إبراهيم، سُلْطانةُ السَّبي، الطبعة 1، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 9 و10.

(13). حكمت بشير الأسود، الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الأشورية، الطبعة 1، منشورات المركز الثقافي الآشوري، دهوك، 2011م، ص 4.

(14). نجاح إبراهيم، سُلْطانةُ السَّبي، الطبعة 1، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 23 و24.

(15). أنيس إبراهيم، و"آخرون"، المعجم الوسيط، المجلّد 1، الطبعة 4، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، د ب، 2004م، ص 166.

[16]. نجم عبدالله عسكر، وجولان حسين علوان، جماليات التكوين في الثور المجنح الآشوري (دراسة تحليلية)، مجلّة الأكاديمي، العدد 85، 2017م، ص 7.

[17]. هوميروس، الأوديسة، المترجم: دريني خشبة، الطبعة 1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013م، ص 8.

[18]. نجاح إبراهيم، أُغنية للبلشونِ الحزين، الطبعة 1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2017م، ص 32-34.

[19]. منير البعَلبكي، معجم أعلام المَوْرِد، إعداد رمزي بعَلبكي، الطبعة 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص 137.

[20]. نجاح إبراهيم، عاصفة الجمال، الطبعة 2، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 59.

[21]. خالد عبدالرؤوف الجبر، "رمز العنقاء في شعر محمود درويش"، مجلّة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلّد 9، العدد 2ب، 2012م، ص 1142.

[22]. نجاح إبراهيم، سُلْطانةُ السَّبي، الطبعة 1، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 30 و31.

[23]. البير كامو، أسطورَة سيزيف، المترجم: أنيس زكي حسن، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1942م، ص 138.

[24]. مرجع سابق، إبراهيم، ص 16.

[25]. طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، د ط، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص 9 و10.

[26]. نجاح إبراهيم، عاصفة الجمال، الطبعة 2، دار السكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م، ص 51 و52.

6. قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتاب العربي القديم:

- جمال الدين أبو الفضل بن منظور (ت 711ه)، لسان العرب، 1414ه، دار صادر، بيروت.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170ه)، معجم العين، 2003م، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانياً: الكتاب العربي الحديث أو المترجم:

- أحمد جبر شعث، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع خان يونس، 2002م.

- البير كامو، أسطورَة سيزيف، المترجم: أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1942م.
- أنيس إبراهيم، وعبدالحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، د ب، 2004م.
- حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث: البرغوثي نموذجا، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع عَمان، 2009م.
- حكمت بشير الأسود، الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الأشورية، منشورات المركز الثقافي الآشوري دهوك، 2011م.
- طلال حرب، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت، 1999م.
- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي القاهرة، 1997م.
- عياد ظريف، آدم وأحداث سفر التكوين بين التاريخية والرمزية، دار الاخوة للنشر، د ب، 2018م.
- منير البعَلبكي، معجم أعلام المَوْرِد، إعداد رمزي بعَلبكي، دار العلم للملايين بيروت، 1992م.
- نجاح إبراهيم، أُغنية للبلشونِ الحزين، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، 2017م.
- ـــــــــ، سُلْطانةُ السَّبي، دار السكرية للنشر والتوزيع القاهرة، 2018م.
- ـــــــــ، عاصفة الجمال، دار السكرية للنشر والتوزيع القاهرة، 2018م.
- هوميروس، الأوديسة، المترجم: دريني خشبة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 2013م.

ثالثاً: المقالات:

- عبدالرؤوف الجبر، خالد، (2012م)، رمز العنقاء في شعر محمود درويش، مجلّة اتحاد الجامعات العربية للآداب جامعة اليرموك، المجلّد 9، العدد 2ب، (صص 1137-1184).
- عبدالله عسكر، نجم، وجولان حسين علوان، (2017م)، جماليات التكوين في الثور المجنح الآشوري (دراسة تحليلية)، مجلّة الأكاديمي جامعة بغداد، العدد 85، (صص 5-18).

رابعاً: الرسائل:

- زيد المال، ليندة، (2011م)، استدعاء الأسطورة في الشعر العربي المعاصر خليل حاوي - أنموذجاً، *رسالة ماجستير في ميدان اللغة والأدب العربي مسار أدب عربي حديث*، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر.